

- العلوم عند العرب -

(تابع لما في الجزء الثاني عشر)

واما الطب فقد كان عند العرب قديماً على ما سبق الايماء اليه الا انه كان مقصوراً على الجرببات كما هو شأن كل امة في حال بداوتها . واول من ذكر من العرب انه تناولهُ عن درس الحرث بن كلدة المشهور من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جنديسابور وغيرها . ثم انه لعدم الحاجة الى هذا الفن تنبه له الخلفاء قبل غيره من العلوم وكان اول من اهتم به منهم مروان بن الحكم رابع خلفاء بني أمية وكان طبيبه ماسرجويه البصري وهو سرياني الذنة يهودي المذهب فعرب له كتاب أهرُون الاسكندري المعروف بالكناش^(١) وهو اول كتاب في الطب نقل الى العربية . وجاء بعده الوليد بن عبد الملك فزاد هذه الصنائة تعزيزاً وبني دوراً للدرضى وجعل فيها الاطباء والمرضىين وأجرى عليهم الارزاق . وذكر ابو الفرج ان الحجاج اختص

(١) قال في القاموس الكناشات بالضم والشد الاصول التي تشعب منها الفروع قال صاحب تاج العروس ومنه الكناشة لاوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة واستعمله شيخنا في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً . اهـ . واللفظة سريانية الاصل وهي كناش بدون هاء ومعناها جملة الشيء واصل الفعل يعنى الجمع والضم ومنه اشتقاق الكنيسة وهي عندهم بالشين المعجمة وبالواو مكان الياء واصل معناها الجماعة

والكناش للكتاب المذكور موضوع في الاصل باليونانية وواضعه اهرون المشار اليه ثم نقله سرجيس الزاس عيني الى السريانية وعنها نقله ماسرجويه الى العربية

بخدمته اثنين من الاطباء وهما تياذوق وثاودون قال وكان لتياذوق تلاميذ اجلاء تقدموا بعده ومنهم من ادرك الدولة العباسية كفترات بن شحناثا في زمن المنصور . الا ان الطب لم ينل عندهم من العناية ما ناله بعد ذلك في عهد العباسيين بل منهم من كان يأبى التطب تورعاً حتى روى ابو الفرج عن عمر بن عبد العزيز انه لما مرض قيل له لو تداويت فقال لو كان دوائى في مسح اذني ما مسحتها نعم المذهب اليه ربي . فلما افضت الخلافة الى بني العباس تقدم المنصور ثاني خلفائهم الى عامله يجنديسابور ان يُنفذ اليه جرجيس بن بختيشوع النسطوري وكان اشهر اطباء وقته فخطي عنده وعرب له كتباً في الطب عن الفارسية كما سبق لنا ايراده . وتلاه ابنه بختيشوع وكان طبيب الرشيد وبقي بعده الى ايام المتوكل ومما يُروى عنه انه في بعض الايام تمطت حظية للرشيد ورفعت يدها فبقيت مرفوعة لا يمكنها ردها والاطباء يعالجونها بالترنج والادهان فلا ينفع ذلك شيئاً فاشار جعفر على الرشيد باحضار بختيشوع فاحضره وشرح له حال الصبية فقال جبريل ان لم يسخط امير المؤمنين علي فلها عندي حيلة فقال الرشيد ما هي قال تخرج الجارية الى ههنا بمحضرة الجمع حتى اعلم ما اريد وتمهل علي ولا تسخط عاجلاً . فامر الرشيد فخرجت وحين رآها جبريل اسرع اليها ونكس رأسها وامسك ذيلها وهم ان يرفعه فانزعجت الجارية ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت اعضاؤها وبسطت يدها الى اسفل وامسكت ذيلها . فقال بختيشوع لقد برئت يا امير المؤمنين فقال الرشيد للجارية ابسطي يدك يميناً ويسرة ففعلت فمجب الرشيد وكل من حضر

وامر له في الوقت بخمس مئة الف درهم
وممن نبغ في وقته يوحنا بن ماسويه صاحب التصانيف المشهورة وكان
من بطانة الرشيد وكان يعقد مجلساً للنظر ويجري فيه من كل نوع من
العلوم القديمة. وخلف بختيشوع ابنه جبرائيل ثم جرجيس اخوه ثم بختيشوع
ابن يحيى وكان طيب المقتدر واستمرت اعقابهم في بني العباس الى سنة
٤٥٠ للهجرة وكانوا على التدريس والترجمة في مدرسة بغداد والتطبيب في
دار الشفاء بها ولهم تصانيف كثيرة. وذكر بعضهم ان عدد علماء الطب
ومدرسيه وطلبتة في مدرسة بغداد ورجال ندوتها العلمية بلغ ستة آلاف
نفس. واشتهر في هذه المدة عدة اطباء غير هؤلاء منهم حنين بن اسحق
العبادي تلميذ يوحنا بن ماسويه وكان طيب المأمون وعرب كتب ابقراط
وجالينوس وافلاطون وغيرها وبقي الى ايام المتوكل. ومنهم قسطا بن لوقا
وثابت بن قرّة وهما ممن عرب كتب جالينوس وابو يوسف يعقوب بن
اسحق الكندي وهو احد الفلاسفة الذين اتصلوا بالمأمون والمعتمد وسان
ابن ثابت بن قرّة وكان من اطباء المقتدر وابنه ثابت بن سنان وكان في
ايام المطيع لله وكان يتولى تدبير اليمارستان^(١) ببغداد. ومنهم علي بن عباس
المجوسي الاهوازي صاحب كتاب الكامل صنفه لعضد الدولة بن بويه وابو

(١) قال في شفاء الغليل اليمارستان لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع
المرضى لان بيمار معناه المريض وسنان هو الموضع. اه. ويقال فيه ايضاً المارستان
ذكرة في شفاء الغليل ايضاً وهو الذي اثبتته الجواليقي والمرضى في تاج العروس وفسراه
بما ذكر لكن المتعارف اليوم انه موضع المجانين بالخصوص وبهذا المعنى استعمله
بديع الزمان في المقامة المارستانية وابن الجوزي في كتاب الاذكياء وكانه من باب الغلبة

الحسن هبة الله بن صاعد ويُعرف بابن التلميذ كان قسيساً ببغداد وكان في
 أيام المقتني لأمر الله قالوا ولم يكن مثله بعد ابقراط وجالينوس ومنهم
 ابو البركات هبة الله بن علي بن ملكا صاحب كتاب المعترف في العلوم
 الحكيمية وهبة الله بن الحسين الاصفهاني وغيرهم

وكان طب هؤلاء كلهم مأخوذاً عن كتب ابقراط وجالينوس فلما
 عدوها ولم يكن لهم من الاستنباط او الاكتشاف في هذه الصناعة ما
 يُذكر سوى ما يقال من انهم اوضحوا تشخيص بعض الحميات النفاطية
 كالجدري والحصبة والحمى القرمزية لكن ربما زادوا في الصيدلة على ما
 تلقوه عن كتب اليونان فانهم على ما قيل اول من استقطر المياه والزيت
 واول من استخدم مركبات الزئبق في الامراض الجلدية ولا سيما البرص
 واول من اشار باستعمال المن والسنا والتمر الهندي والروند والكافور وغير
 ذلك . واشهر من اشتغل من اطبائهم ابو بكر محمد بن زكرياء الرازي
 مؤلف كتاب الاقطاب في ثلاثين مجداً وكتاب الحاوي في خمسة عشر
 مجداً وغيرها وله رسالة في الجدري والحصبة يقال انها اقدم كتاب ورد فيه
 ذكر هذين المرضين ويُنسب اليه اختراع الخلال المعروف عند الاطباء
 وهو القائل اذا كان الطيب حاذقاً والعليل موافقاً والصيدلاني صادقاً فما
 اقل لبث العلة . وكان الرازي من المتقدمين في الطب والهندسة والمنطق
 والموسيقى وهو اول من صنّف في الطب اخذاً عن جالينوس وعن كتب
 الهند والفرس وجاء بعده ابن سينا فبسط ما ذكره الرازي في كتاب
 الحاوي وتمم ما فاتهُ ولذلك يقال كان الطب معدوماً فواجده ابقراط وميتاً

فاحياهُ جالينوس ومتفرقاً لجمعهُ الرازي وناقصاً فكلمهُ ابن سيناء . وكان ابن سيناء العَلمَ المشار اليه في جميع علوم وقته لم يأت قبله ولا بعده من ادرك منزلته او اشتهر شهرته وكانت مؤلفاته في الطب والفلسفة تُعدّ خلاصة ما كُتب قبله حتى استغنى الناس بما كتبه واتقطعوا الى مصنفاته ولا سيما في الطب فان كتابهُ القانون كان هو الكتاب المعول عليه في آفاق الشرق عامة ثم انتشر في اوربا فطبع في رومية مع كتاب النجاة سنة ١٥٩٣ وبقي متداولاً في جميع مدارس اوربا نحواً من خمس مئة سنة وُترجم الى اكثر لغاتها فكانت منزلته في الطب منزلة المجسطى في الهيئة هذا في بلاد المشرق واما في المغرب فكان في الاندلس اربع مدارس للطب احداها في قرطبة والثانية في اشيلية والثالثة في طليطلة والرابعة في مرسية . ومن نبغ من الاندلسيين ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي من اهل القرن الخامس كان طبيباً جراحاً له عدة تصانيف منها كتابٌ في امراض النساء وآخر في الجراحة وكتابٌ في تركيب الادوية وغير ذلك وهو اول من طبعت مصنفاته في مدينة البندقية سنة ١٤٧١ . ومنهم بنو زهر وهم اشبه ببني بختيشوع واشهرهم ابو العلاء بن زهر بن ابي مروان ثم ابنه ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء ثم ابنه ابو بكر محمد بن ابي مروان . وعبد الملك هذا هو احد الذين اخذ عنهم ابن رشد الفيلسوف الطيب المشهور وهو صاحب كتاب التيسير وكتاب الاغذية وكان لهذين الكتابين شهرة عظيمة في المغرب والمشرق قيل وفي ايامه وصل القانون الى بلاد الاندلس فلم يعجبه وصار يقطعه ويصرفه في الادوية . ومنهم ابو الوليد

